

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِۦٓ أَنَّا نُنَزِّلُ الْغَيْثَ فَنُخْرِجُ بِهِ الْخَضِرَ حَشِيشَةً فَإِذَا أُنْزِلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءُ
أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [فصلت: 39]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي السِّيَاقِ السَّابِقِ آيَاتِ السَّمَاءِ الْعُلَوِيَّةِ ﴿الْبَلَدِ
وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ [فصلت: 37] ذَكَرَ هُنَا الْآيَةَ الْأَرْضِيَّةَ؛ لِيَسْتَوْعِبَ
الْعِبَادُ هَيْمَنَةَ اللَّهِ عَلَى الْوُجُودِ عُلُوِّيَّةٍ وَسُفُلِيَّةٍ⁽¹⁾.

آيَاتُ اللَّهِ
تَتَظَاهَرُ لِلْعَبِيدِ
عَلَى إِثْبَاتِ
التَّوْحِيدِ

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿حَشِيشَةً﴾: (خَشَع) أَصْلٌ يُدُلُّ عَلَى التَّطَامُنِ وَالتَّذَلُّلِ، يُقَالُ:
خَشَعَ، إِذَا تَطَامَنَ وَطَاطَأَ رَأْسَهُ، يَخْشَعُ خُشُوعًا، وَهُوَ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنْ
الْخُضُوعِ، إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ وَالْإِقْرَارَ بِالِاسْتِخْدَاءِ، وَالْخُشُوعُ
فِي الصُّوْتِ وَالْبَصَرِ كَمَا فِي: ﴿حَشِيشَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ [القلم: 43]⁽²⁾، وَالْمَعْنَى
الْمَحُورِيُّ: مُبْوَطٌ مَا شَأْنُهُ الْارْتِفَاعُ وَالْغَلْظُ، لِيَسِيَّبَ أَثْنَائِهِ⁽³⁾. قَالَ
الزَّمَخْشَرِيُّ: "وَأَرْضٌ خَاشِعَةٌ: غَيْرُ مَمْطُورَةٍ"⁽⁴⁾. وَالْمَعْنَى هُنَا: يَابِسَةٌ.
(2) ﴿أَهْتَزَّتْ﴾: (هَزَّ) أَصْلٌ يُدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ فِي شَيْءٍ وَحَرَكَةٍ.
وَهَزَزْتُ الْقَنَاةَ فَاهْتَزَّتْ. وَاهْتَزَّ النَّبَاتُ، وَهَزَّتْهُ الرِّيحُ. وَهَزَّ الْحَادِي
الْإِبِلَ بِحُدَائِهِ، وَاهْتَزَّتْ هِيَ فِي سَيْرِهَا. وَهَزِيزُ الرِّيحِ: حَرَكَتُهَا
وَصَوْتُهَا⁽⁵⁾. وَالْهَزُّ: التَّحْرِيكُ الشَّدِيدُ⁽⁶⁾. وَالْمَعْنَى الْمَحُورِيُّ: تَحَرُّكُ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 567 / 27.

(2) ابن فارس، معجم اللغة: (خشع).

(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (خشع).

(4) الزَّمَخْشَرِيُّ، أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: 248 / 1.

(5) ابن فارس، معجم اللغة: (هز).

(6) الرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (هز).

جَرَمَ الشَّيْءِ حَرَكَهَ خَفِيفَةً مُضْطَرِبَةً أَوْ مُتَرَدِّدَةً⁽¹⁾. ومعنى ﴿أَهْتَزَّتْ﴾
في الآية الكريمة: تحرّكت بالنبات.

(3) ﴿وَرَبَّتْ﴾: الرّاء والباء والحرف المَعْتَلُّ وكذلك المَهْمُوزُ مِنْهُ
يَدُلُّ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الزَّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ وَالْعُلُوُّ. تَقُولُ مِنْ ذَلِكَ: رَبَا
الشَّيْءُ يَرْبُو، إِذَا زَادَ. وَرَبَا الرَّابِيَةَ يَرْبُوهَا، إِذَا عَلَاهَا. وَرَبَا: أَصَابَهُ
الرَّبُّو: والرَّبُّو: عُلُوُّ النَّفْسِ، والرَّبُّوَةُ والرَّبُّوَةُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ. وَيُقَالُ:
أَرَبَتِ الْحِنْطَةُ: زَكَتْ، وَهِيَ تُرَبِّي⁽²⁾. وَالْمَعْنَى الْمَحْوَرِيُّ: نُمُو الشَّيْءِ
مُسْتَغْلَظًا مُرْتَفِعًا. كَالرَّابِيَةِ وَرَبُّو الْأَرْضِ⁽³⁾، وَالْمَعْنَى هُنَا: زَادَتْ بِنَبَاتِهَا.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

في الأرض آيات للموقنين

يَبِينُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - آيَةً مِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجوبِ إِخْلَاصِ
الْعِبَادَةِ لَهُ فَيَقُولُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾⁽⁴⁾؛ أَي: وَمِنْ الدَّلَائِلِ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى
عَلَى الْبَعْثِ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بَعْدَ بِلَاهَا، وَإِعَادَتِهَا لِهَيْئَتِهَا كَمَا كَانَتْ مِنْ
بَعْدِ فَنَائِهَا - أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ يَابِسَةً غَبْرَاءَ لَا نَبَاتَ بِهَا وَلَا زَرْعَ، فَإِذَا
نَزَلَ عَلَيْهَا الْغَيْثُ مِنَ السَّمَاءِ تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ وَانْتَفَخَتْ وَأَخْرَجَتْ
أَلْوَانَ الزَّرْعِ وَالثَّمَارِ، كَمَا يُشَاهَدُ ذَلِكَ مِنْ ارْتِفَاعِ الْأَرْضِ وَانْتِفَاحِهَا،
ثُمَّ تَصْدُعُهَا وَتَشَقُّقُهَا إِذَا حَانَ ظَهْرُ النَّبَاتِ مِنْهَا، وَتَرَاهُ يَسْمُو فِي
الْجَوِّ وَيُغَطِّي قِشْرَتَهَا، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ عُرُوقُهُ، وَتَغْلُظُ سَوْقُهُ⁽⁵⁾. إِنَّ الَّذِي
أَحْيَا هَذِهِ الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِالْإِنْبَاتِ الْمُحْيِي الْمَوْتَى وَبَاعَثَهُمْ لِلْحِسَابِ
وَالْجَزَاءِ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يُعْجِزُهُ إِحْيَاءُ أَرْضٍ بَعْدَ مَوْتِهَا،
وَلَا إِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَبَعْثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ⁽⁶⁾.

(1) محمد جبل، العجم الاشتقاقي: (هز).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ربو).

(3) محمد جبل، العجم الاشتقاقي: (ربو - ربي).

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 355 / 12.

(5) الراعي، تفسير الراعي: 136 / 24.

(6) مركز تفسير، المختصر في التفسير.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

معنى الواو ودلالتها في ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾:

قَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فُصِّلَتْ: 37]⁽¹⁾، ودلالة العطف البلاغية: الربط بين الآيات العلوية البعيدة من جهة السماء: (الليل، النهار، الشمس والقمر)، وبين الآيات السفلية القريبة من جهة الأرض. وفي هذا العطف إدماج بين الظواهر الكونية العلوية والسفلية لإظهار التكامل والتدرج في نظام الكون، فالليل والنهار والشمس والقمر لها دور في ضبط الزمان، وإمداد الطاقة، وسائر ظروف البيئة، التي تؤثر في حياة الكائنات الأرضية: النباتات والحيوان والإنسان، فمعاشات الأرض وأرزاقها وأمطارها وحيواتها المتجددة بعد مواتها ترتبط ارتباطاً مباشراً بحوادث الليل والنهار والشمس والقمر، والعطف يبرز هذا التكامل والاندماج؛ للكشف عن نظام ذي وحدة واحدة في تكوينه، وشديد الاندماج في أجزائه وتركيبه. وهذا الانتقال - المبرز بحرف العطف - من المظاهر السماوية إلى الحوادث الأرضية يُعزِّز الغاية الإيمانية وهي تحقيق السُّجود لله وحده وإخلاص العبودية له وحده؛ لأنه إنباء عن اتساع وشمول صفة الخالق لله سبحانه، لامتلاكه وتصريفه لمقاليده السموات والأرض وتصريف إحياء وإمداد وتجديد وميلاد، فالعطف بين الجملتين أظهر تحكم الله سبحانه في كل شيء، من فوقنا، ومن تحتنا، ومن حولنا، وجلى لنا تنوع آثاره في ذلك بتعدد مخلوقاته وتكاملها العجيب رغم تباينها الواسع.

غرض تقديم الجار والمجرور ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾:

تقديم الجار والمجرور المتعلق بمحذوف خبر مقدم للمبتدأ المؤخر

حَيَوَاتِ الْوُجُودِ
الْأَرْضِيِّ مُرْتَبِطَةٌ
بِحَوَادِثِ الْوُجُودِ
الْعُلَوِيِّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 302 / 24.

الآيات سابقة
إمكان العقول
ومعهودها؛
فهي متقدمة
واقعا ونظما

من طلاقة
القدرة نشأ
إعجاز الآيات

تنوع أفراد
الجنس دليل
على وسع القدرة
وشمولها

(المصدر المؤول)⁽¹⁾؛ للاهتمام والاختصاص والحصر؛ أي: رؤيتك الأرض على حالها المذكور - من آياته وحده لا تكون إلا منه. والتقديم هنا يعزز التشويق إلى مضمون هذه الآيات التي سيأتي تفصيلها بعد، فتتشوف لها النفس. وتقديم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ يسترعي انتباه السامع تجاه ما سيلقى عليه، بإعلامه - أولاً - أنه من الآيات العظيمة التي هي من دلائل ألوهية الله سبحانه، فيتلقاها بالإجلال والتعظيم.

معنى (مِنْ) ودلائلها في: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾:

(مِنْ) في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ تبعيضية⁽²⁾؛ فَرؤية الأرض خاشعة ليست كل الآيات، بل جزء من آيات الله الكثيرة التي لا تحصى. فالتبعيض يؤذن ضمناً بالكثرة والتنوع في آيات الله.

ويصح أن تكون بيانية، على أن (مِنْ) تبين جنس المذكور لاحقاً: ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَدِشَةً﴾، بكونه من آيات الله ودلائله على وحدانيته؛ فهي تبين للنوع المندرج تحت جنس الآيات.

ويصح أن تكون ابتدائية على معنى: أن رؤيتك الأرض خاشعة وإحيائها بعد مواتها ناشئ وصادر - في عظمتها ودلالته على الألوهية - من جهة الآيات الربانية الفذة، كأنه قيل: ذلك المذكور صادر من جهة الإبداع الفذ والإعجاز العجيب المعبّر عنه بالآيات. وفي ذلك المعنى إشعار بتتابع الآيات؛ لأنها بداية اليقين، والإيمان مُحقق من جهتها.

غرض الجمع والإضافة في: ﴿آيَاتِهِ﴾:

جاءت كلمة: ﴿آيَاتِهِ﴾ في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ بصيغة الجمع مع إضافتها لضمير الجلال العائد على الله سبحانه، فالجمع يدل على تنوع الآيات وكثرتها، بما يدل على شمول القدرة وطلاقتها.

(1) صافي، الجدول: 12 / 314.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 168 / 17.

والإضافة إلى ضمير الجلال يدلُّ على المِلَكِيَّة والتَّفَرُّد، فالآياتُ مِلَكٌ له وحده، وهو سبحانه مُتَفَرِّدٌ بِخَلْقِهَا وتَجْلِيَّتِهَا، وتعريفُ الآياتِ بالإضافةِ إلى ضميرِ الجلالِ تعظيمٌ لها وتنويهٌ بشأنها، والغرضُ من ذلك التَّعْظِيمُ: أن يتلقَّاهَا المُكَلَّفُ بالقوَّة ويتفاعلَ معها بالعزم والجادَّة، ولا يخفى ما في الجمع والإضافة - معاً - من تعظيمٍ وتفخيمٍ خالِقِهَا ﷻ⁽¹⁾، كما لا يخفى أنَّ في إضافتها إلى ضميرِ الجلالِ التَّنْبِيهُ على مصدرها، وأنها آياتُ ربَّانِيَّةٍ إلهيَّة.

دلالة التَّوَكُّيدِ في ﴿أَنْتَ﴾:

تصديرُ الجملةِ بالتَّوَكُّيدِ في: ﴿أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ لتحقيقِ مضمونِ الجملةِ وتعميقِ أثرِها في النُّفُوسِ، تَنْبِيْهاً على أنَّ ذلك حقيقةٌ واقعةٌ، وهو أنَّ كُلَّ مَنْ يَصْلُحُ خطابه يشهدُ ويرى بحواسِّه الأرضَ خاشعةً، فلا مجالَ لإنكارِ ذلك أو دَحْضِهِ؛ فهو بمثابةِ تجربةٍ حَسِّيَّةٍ ومتواترةٍ في عثومِ المُخَاطَبِينَ، وهذا التَّشْدِيدُ الحاصلُ بالتَّوَكُّيدِ تمهيدٌ للتَّغْيِيرِ والتَّحَوُّلِ الإعجازيِّ للأرضِ من الموتِ إلى الحياة. كأنَّه يقولُ للمُخَاطَبِ: تأكَّدْ عندكَ من خلالِ رُؤْيَيْكَ أَنَّ الأرضَ يابسةٌ مَيِّتَةٌ، فاعتبرْ كيف تحوَّلتْ من تلك الحالِ إلى حالِ الحياةِ والازدهارِ، فما تأكَّدَ برُؤْيَيْكَ ممَّا لا مجالَ للرَّيبِ فيه هو حُجَّةٌ عليك إذا تنكَّبتَ موجبَه من الإقرارِ بوحْدانيَّةِ اللَّهِ وإخلاصِ العبوديَّةِ له.

نكتةُ إجراءِ الآيةِ على الخطابِ في ﴿أَنْتَ تَرَى﴾:

إجراءُ الآيةِ على الخطابِ في قوله: ﴿أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾؛ ولم يُخَلِّها من الخطابِ كما أخلَى نظيرَها في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالتَّهَارُ﴾ [فصلت: 37] وذلك لِنِكَاتِ، منها:

أَوَّلًا: التَّفْرِيقُ بين آياتِ السَّمَاءِ وآياتِ الأرضِ؛ فآياتُ السَّمَاءِ:

استِخْصَارُ
المسؤوليَّةِ
الشَّخْصِيَّةِ
في الخطابِ
بدلائلِ الإيمانِ
والتَّوْحِيدِ

الخطابُ إلهادٌ
من الله للإنسانِ
على قدرتهِ

(1) البقاعي، نَظْمُ الدُّرَر: 17/ 196.

﴿الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصلت: 37] جُرِّدَتْ عن الخطاب؛ لِبُعْدِهَا عن إمكانِ الإنسانِ، فهي عظيمةٌ عاليةٌ، ليست في متناولِهِ. وأمَّا آياتُ الأرضِ: ﴿الْأَرْضُ خَشِيعَةٌ﴾؛ فاقترنت بصيغةِ الخطابِ المباشِرِ؛ لمباشرةِ الإنسانِ لها، وإمكانِهِ عليها وتأثيرِهِ فيها.

ثانيًا: تحقيقُ التَّنَاسُبِ مع مضمونِ الآيةِ، فالآيةُ جاءتْ بالخطابِ: ﴿أَنْتَ﴾؛ لاشتغالِها على فعلِ الرؤيةِ، وإذا كان ذلكَ كذلكَ، فلا بُدَّ من ذِكْرِ الرَّائِي المُشَاهِدِ (فاعلِ الرؤيةِ)؛ فجاءَ نَمَطُ الآيةِ على استحضارِهِ بالخطابِ.

ثالثًا: إَشْهَادُ الإنسانِ على تجارِبِهِ التي يَلَا بِسُهَا وَيَلَامِسُهَا اقتضى توجيهُ الخطابِ إليه، ليكونَ ذلكَ أكثرَ إقْناعًا له، وزيادةً للإيمانِ في قلبِهِ، واحتجاجًا عليه بما لا انقطاعَ له عن مُشَاهَدَتِهِ ومعايشَتِهِ والانخراطِ فِيهِ، فهو احتجاجٌ عليه بما هو في نطاقِ حواسِّهِ، وذلكَ أبلغُ وأوْلَى أن يُسَاقَ على أسلوبِ الخطابِ من غيرِهِ.

رابعًا: تصديرُ المُشْهَدِ بالخطابِ فِيهِ نَوْعٌ تَكْرِيمٍ وتشريفٍ للإنسانِ بإشراكِهِ واستحضارِهِ فيما هو لصيقُ العِلْمِ به، والقياسِ له، فالخطابُ شهادةٌ - ضَمْنِيَّةٌ - من اللَّهِ سبحانه لذلكِ الإنسانِ بأنَّه يَعْلَمُ وَيُدْرِكُ وَيَعْقِلُ ما هو في حَيِّزِهِ ونطاقِهِ، فهو من أهلِ الرؤيةِ والعِلْمِ والعقلِ، وهذه تزكيةٌ للإنسانِ تُحَفِّزُ عَزِيمَتَهُ على الاستجابةِ والامتثالِ، فالخطابُ جمعٌ بين الاعتدادِ بِنَظَرِ الإنسانِ تشريفًا له بذلكَ، وبين الاحتدادِ والاشتدادِ عليه إذا هو لم يقبلْ، تخويفًا له أن يكونَ ذلكَ الإِشْهَادُ بالخطابِ حُجَّةً ضِدَّهُ.

دلالةُ التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ ﴿تَرَى﴾:

التَّعْبِيرُ بِالْمُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ﴾؛ للدلالةِ على استحضارِ المُشْهَدِ فِي الزَّمَنِ الحَاضِرِ، واستمرارِ حدوثِ الفِعْلِ، ممَّا

الرُّؤْيَةُ البَصَرِيَّةُ
هي مفتاحُ
اليقينِ والجزمِ

يوقِف السَّامِعَ أَمَامَ الآيَةِ المذكورةِ كأنَّها تحدثُ أمامَه الآنَ وهو يُباشِرُ الإطْلَاعَ عليها ومُعَايَنَتَهَا. وهذا يجعلُ هذه الظَّاهِرَةَ أكثرَ تأثيرًا في المُخَاطَبِ، ممَّا يدفعُه إلى التَّأمُّلِ المَكرُورِ والمُتجدِّدِ فيها. كما أنَّ التَّعبيرَ بالمُضَارِعِ في رُؤيةِ الظَّاهِرَةِ يدلُّ على تَكَرُّرِ الظَّاهِرَةِ، فاستمرارُ الرُّؤيةِ مُشعِرٌ بتكرارِ المرئيِّ. وهذا التَّكرارُ يُعزِّزُ اليقينَ في الحُدُوثِ؛ أي: إنَّ هذا مَشْهُدٌ مَكرُورٌ، فيستلزمُ الاستيقانَ في ثبوتهِ واطِّرادِهِ، فيورثُ ذلكَ اليقينَ في قلبِ المُتلقِّي؛ لأنَّه بصددِ آيَةٍ مُتجدِّدَةٍ، كلِّما طلبها وجدها! فأني يغفلُ عنها أو يتناساها فلا عُذْرَ لَه.

مَرْجِعُ الْخُطَابِ فِي: ﴿أَنْتَ تَرَى﴾:

الخطابُ في قوله: ﴿أَنْتَ تَرَى﴾ مُتَوَجَّهٌ لغيرِ مُعَيَّنٍ، فيعودُ على كُلِّ مَنْ تَصَحَّحَ مِنْهُ الرُّؤيةُ⁽¹⁾، ويدخلُ فيه الرَّسُولُ ﷺ دُخُولًا أَوَّلِيًّا. وجاءَ الخطابُ بالإفرادِ، ولم يَقُلْ: (أَنْتُمْ تَرَوْنَ) رغمَ أنَّ الخطابَ على العمومِ؛ لإشعارِ كُلِّ فردٍ باستقلالِهِ في توجيهِ الخطابِ لَه، وذلكَ أبلغُ في التَّأثيرِ، وأكَّدَ في تقريرِ مسؤوليَّةِ الفردِ وحسابِ كُلِّ عَن نَفْسِهِ. وأيضًا: في سياقِ الشُّهُودِ لمَظَاهِرِ الوجودِ؛ فَإِنَّ الأَمْرَ يَقْتَضِي تَدَبُّرًا ذاتيًّا، وعِرْفَانًا شَخْصِيًّا، وتقديرًا فرديًّا، ولذا كانَ إفرادُ الخطابِ أكثرَ ملاءمةً من الجمعِ؛ لِيَتَفَكَّرَ كُلُّ شَخْصٍ في هذه الآيَةِ بِنَفْسِهِ، إِذِ التَّدَبُّرُ وإِعْمَالُ العَقْلِ هو في أَصْلِهِ وَظيفَةٌ فرديَّةٌ، وَخِصْلَةٌ أُحادِيَّةٌ.

معنى الرُّؤيةِ فِي: ﴿تَرَى الْأَرْضَ﴾:

الرُّؤيةُ في قوله: ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَشِيعَةً﴾ يحتملُ أن تكونَ بَصَرِيَّةً؛ وهي المُتَعَدِّيَّةُ إلى مفعولٍ واحدٍ، و﴿خَشِيعَةً﴾ حالٌ من المفعولِ؛ لأنَّ الآيَةَ المذكورةَ من المُبْصِرَاتِ، ويحتملُ أن تكونَ عِلْمِيَّةً قَلْبِيَّةً بمعنى: (ألم تعلمِ)؛ فَتَتَعَدَّى إلى مفعولين⁽²⁾، فالمفعولُ الأوَّلُ ﴿الْأَرْضَ﴾،

من مقاصد
الخطابِ الإلهيِّ
تعزيزُ مسؤوليَّةِ
الفردِ

رؤيةُ البصرِ
توطئةٌ لرؤيةِ
البصيرةِ

(1) الألويسي، روح المعاني: 12 / 377، وابن عاشور، التَّحْريِرُ والتَّنْويرُ: 24 / 302.

(2) درويش، إعراب القرآن: 8 / 565، والسَّامِرَائِي، معاني النحو: 2 / 12.

والمفعول الثاني: ﴿خَدِشَةً﴾؛ لأنَّ من النَّاسِ مَنْ يقضي عُمُرَهُ كُلَّهُ ولا يرى أرضًا يبست ثمَّ اخضرت - فهذا واردٌ في الإمكان - لكنَّه يُخْبَرُ فيعلم علمًا قَلْبِيًّا، فهذا تكون الرُّؤيةُ في حَقِّه علميَّةً، وكذلك: ليس في الإمكان رؤية جميع الأرض، فهناك قَدَرٌ في الرُّؤية لم يُبَصِّرْ مَقِيسٌ على ما حصلَ برؤية العين، فبعضُ الأرضِ مرَّتِي بحاسَّةِ البَصَرِ، وبعضُها مرَّتِي بعينِ البصيرةِ، قياسًا على ما أبصرت⁽¹⁾. وعلى كلِّ، فرؤية العينِ يتركَّب عليها نظرُ العقلِ واعتبارُ القلبِ، فالمتقصدُ من رؤيةِ البصرِ إثارةُ رؤيةِ البصيرةِ، فهو نظرٌ وإبصارٌ يورثُ البصيرةَ والعلمَ القلبيَّ، ولذلك عبَّرَ بالرُّؤيةِ دونَ العلمِ؛ للتنبيةِ على أنَّ مدخلَ هذا العلمِ رؤيةٌ بالعينِ الباصرةِ، والمُشاهدةُ النَّاظرةِ، وأمَّا العلمُ فلا يدلُّ على اقترانه لرؤيةِ المُشاهدةِ.

دلالة التعريف في: ﴿الْأَرْضُ﴾:

تعريف الفرد
من الجنس
هو تعريف
للعهد وليس
للاستغراق

التعريفُ في: ﴿الْأَرْضُ﴾ في قوله: ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَدِشَةً﴾؛ للعهدِ، أي: ذلك المحلُّ الذي تتجَّه إليه رؤيتك من الأرض. غير أنَّ تلك العهدية تحملُ معنى العمومِ الضمنيِّ؛ لأنَّ كلَّ أرضٍ تخضع لهذه الظاهرة (التحوُّلُ من المواتِ إلى الحياة)، فالتعريفُ بذلك للاستغراقِ، أو لتعريفِ الحقيقةِ السَّاريةِ في جنسِ الأرضِ، وعلى ذلك فهناك مواضعٌ لا تدخلُ تحتَ الرؤيةِ البصريَّةِ، وهو ما خرجَ من الأرضِ عن حيِّزِ الإبصارِ، فهذا مرَّتِي رؤيةً قَلْبِيَّةً علميَّةً قياسًا على المشهودِ بالعينِ منها، ولذلك قال البقاعيُّ: ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ﴾؛ أي: بعضها بحاسَّةِ البَصَرِ، وبعضُها بعينِ البصيرةِ قياسًا على ما أبصرتَه⁽²⁾.

بلاغة الاستعارة في: ﴿خَدِشَةً﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَدِشَةً﴾ تأتي كلمة

(1) البقاعي، نَظْمُ الدَّرَجِ: 17/ 196.

(2) البقاعي، نَظْمُ الدَّرَجِ: 17/ 196.

الجمادات خاشعة قابلة لإمداد الحياة

﴿خَاشِعَةً﴾ على سبيل الاستعارة المكنية، ووجه الاستعارة تشبيه الأرض الجافة التي لا نبات فيها بإنسان خاشع مُتَطامِنٍ من التذلل⁽¹⁾؛ لأنَّ الخشوعَ يوحي بالسُّكُونِ والإخفاضِ. ثم حُذِفَ المُشَبَّهُ به (الإنسان)، ورُمِزَ إليه بأحد صفاته (الخاشعة) على سبيل الاستعارة المكنية⁽²⁾. وهذا التصوير يُبرز حالة الأرض قبل نزول المطر وتشرُّبها بالماء، فهي قبل ذلك خافضة لانكماشها بالجفاف، وساكنة لخلوها من حيوية الرِّيِّ، فلا انفعال فيها بحركة الإنبات والإثمار.

بلاغة الاستعارة في: ﴿أَهْتَزَّتْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ جاءت كلمة ﴿أَهْتَزَّتْ﴾ على سبيل الاستعارة المكنية⁽³⁾، فقد شُبِّهَتِ الأرض بالحيوان الحي الذي يستجيب للماء بالحركة والنشاط، وكأنها تهتز فرحاً واستبشاراً بعد نزول المطر. حُذِفَ المُشَبَّهُ به (الكائن الحي) ورُمِزَ إليه بصفة من صفاته - وهي الاهتزاز - مما يجعل الاستعارة مكنيةً.

أولى بالإنسان
أن يخشع ويحيا
بإمداد الوحي،
كما انفعلت
الأرض لإمداد
الغيث

بلاغة الاستعارة: توحى الاستعارة بالحيوية والنشاط الذي يدبُّ في الأرض بعد نزول الماء، مما يُبرز عظمة قدرة الله في إحياء الأرض الميتة، وهذه الاستعارة تخلق صورة حية محسوسة تجعل السامع يتخيل الأرض وكأنها تستجيب بالحركة والنَّبْضِ لنزول الماء، ممَّا يعمِّق أثر الآية في النَّفْسِ، فتجمع بين التَّجْسِيدِ والتَّشْخِصِ، فتُضْفِي على الأرض صفة الكائن الحي المتفاعل⁽⁴⁾.

بلاغة الاستعارة في: ﴿وَرَبَّتْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ جاءت كلمة (ربت) على سبيل الاستعارة المكنية.

علامة الحياة
استمرارُ النُّمو
وظهورُ الانفعال

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خشع).

(2) القَوْنُوِّي، حاشية على تفسير البضاوي: 17/ 168، ودرويش، إعراب القرآن: 8/ 565.

(3) درويش، إعراب القرآن: 8/ 565.

(4) درويش، إعراب القرآن: 8/ 565.

وإجراء الاستعارة: شُبِّهَتِ الْأَرْضُ بالكائن الحي الذي ينمو ويزداد حجمه (يربو)، وكأنَّها بعد نزول المطرِ تَتَفَخُّ وترتفعُ بما يَنْبُتُ عليها من الزَّرْعِ والنَّبَاتِ. فَحُذِفَ المُشَبَّهُ به (الكائن الحي) ورُمِزَ إليه بصفةٍ من صفاته؛ وهي (الربو): (الانتفاخ والارتفاع) على جهة الاستعارة المكنية. وبلاغة الاستعارة في هذا الموضع يكتنفها دلالات:

أولاً: التَّجْسِيدُ والتَّشْخِصُ: منحتِ الاستعارة الأرضَ صفاتِ الدَّوَاتِ الحية، ممَّا يُضْفِي على المشهد حيويَّةً وانفعالاً واقعياً.

ثانياً: الإحياء بالنُّمُو والخصب: تصويرُ الأرضِ بأنَّها (رَبَتْ) يوحي بِنُموِّ الزَّرْعِ وامتلاءِ الأرضِ بالحياة، وهو تعبيرٌ عن قُوَّةِ التَّأثيرِ الإلهيِّ في إحياءِ الأرضِ الميِّتَةِ.

ثالثاً. التكامل مع ﴿أَهْتَزَّتْ﴾: الجمع بين الاهتزاز والربو يصوِّر دورة حياةٍ كاملةٍ في الأرض، من الاستجابة الأولى لنزول المطرِ إلى الإثمار والنَّماء.

رابعاً: من النَّاحِيَةِ اللَّفْظِيَّةِ: تُضْفِي الاستعارة بُعْداً جماليّاً على النَّظْمِ، حيث تجعلُ القارئ يَرى الأرضَ وكأنَّها شَخْصٌ حيٌّ يَنْبُضُ بالحياة. هذا الاستخدامُ البلاغيُّ يُعْظِمُ من أثرِ نزولِ الماءِ ويُجَلِّي قدرةَ اللَّهِ تعالى في إحياءِ الأرضِ⁽¹⁾.

بلاغة موقع جملة ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾:

جملة: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ استئنافٌ بيانيٌّ - جواباً عن سؤالٍ نشأ ممَّا قبله، تقديرُهُ: كيف يُمكنُ أَنْ يكونَ إحياءُ الأرضِ دليلاً على قُدرةِ اللَّهِ على إحياءِ الموتى؟ أو: مَنْ الذي يملكُ القدرةَ على إحياءِ الموتى كما أحيا الأرضُ؟ فأجيب: (إِنَّ الَّذِي أَحْيَا الْأَرْضَ بعد موتِها هو ذاته القادرُ على إحياءِ الْمَوْتَى)⁽²⁾.

الحقيقة
الإيمانية منوطة
بالظاهرة
الكوينية

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 565 / 8.

(2) صافي، الجدول: 314 / 12.

ويصحُّ كذلك أن تكون الجملة تعليلًا لحدوث الظاهرة المذكورة وربطها بالحقبة الغيبية (إحياء الموتى)، وهذا التعليل جاء في أبلغ صورة له؛ لأنه علل الظاهرة بالذات العلية، بما يذهب بالأذهان إلى وسع صفاته وكمال قدرته سبحانه، والمعنى على التعليل: ذلك المذكور من ازدهار الأرض بعد جذبها إنما كان ممكنًا حصوله رغم كونه آية عظيمة؛ لأن الذي أحيها هو الله الذي يحيي الموتى كما أحيها⁽¹⁾.

ويصحُّ أن تكون الجملة استئنافًا ابتدائيًا؛ لكونها تأسيسًا لمعنى جديد، وتقرير مستقل للحقيقة الإيمانية بأن الله الذي أحيى الأرض قادرٌ على إحياء الموتى. فالغرض من الجملة هو التوكيد والإعلان عن قدرة الله المطلقة بشكل عام، وليس فقط في سياق إحياء الأرض، والاستئناف الابتدائي يُقرّر المعنى بأقوى أسلوب، حيث تُطرح الحقيقة كقاعدة مستقلة يتأملها المخاطب، كأنه يتفرغ لها وحدها، فليست مرتبطة بما قبلها مباشرة بسؤال مُقدّر أو تعليل لما سبق، كما في وجهي الاستئناف البياني أو التعليلي⁽²⁾.

بلغة الإدماج:

وفي اقتراح إحياء الأرض بإحياء الموتى إدماجٌ بديع⁽³⁾ يربط بين المشاهد الحسية (إحياء الأرض) والحقائق الغيبية (البعث). وهذا الإدماج بين المشاهد الحسية والدليل الغيبي يعد جزءًا من منهج القرآن في الاستدلال، وهو من عادات القرآن المُطردة، حيث يعبرُ بالمخاطب من مظاهر القدرة الإلهية المشهوددة إلى حقائق الغيب المقيسة عليها؛ ليقبلها ويؤمن بها.

بلغة حسن التلخيص:

في الانتقال من تفصيل الحقيقة الحسية إلى تقرير الحقيقة

ما تراه الأعين
منوطٌ بحقائق لا
تراها

المشاهد الكونية
مُقررة للحقائق
الإيمانية

(1) الخطيب، التفصيل في الإعراب: 321 / 24.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 303 / 24.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 303 / 24.

الْغَيْبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَادِسَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ - حَسُنْ تَخْلُصَ إِلَى الْفَرْضِ الَّذِي لِأَجَلِهِ سَيَقَى الْكَلَامُ، وَهُوَ تَقْرِيرُ قُدْرَةِ اللَّهِ الْمُطْلَقَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَحَصَلَ تَخْلُصُ النَتِيجَةِ (المَوْضُوعُ الثَّانِي - إِحْيَاءُ الْمَوْتَى) مِنَ الْمُقَدِّمَةِ (المَوْضُوعُ الْأَوَّلُ - إِحْيَاءُ الْأَرْضِ) فِي انْتِقَالٍ سَلِسٍ مُتَنَاعِمٍ مِنْ غَيْرِ فَجْأَةٍ وَلَا غَرَابَةٍ مَعَ تَمَاسُكِ بَيْنِ الْغَرَضَيْنِ، فَوُلِّدَ تَقْرِيرُ الْحَقَائِقِ الْعَقْدِيَّةِ مِنْ وَصْفِ الْمَشَاهِدِ الْكُونِيَّةِ، بِتَدْرُجٍ مُحْكَمٍ، وَانْتِقَالٍ يَخْلُو مِنَ الْفَجْوةِ وَالتَّكْلُفِ، وَيَقُومُ عَلَى الضَّرُورَةِ وَالْمُنَطِقِ.

نكتة استهلال الجملة بالتأكيد في: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾:

القضايا الغيبية
تستلزم توكيداً
يثبتها في
النفوس

استهلال الجملة بـ﴿إِنَّ﴾ فِي ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾، ثُمَّ تَأْكِيدُ الْخَبَرِ بِلَامِ التَّوْكِيدِ ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾، جَاءَ ذَلِكَ التَّوْكِيدُ مُنَاسِبًا لِلْمَقَامِ، فَالْمَقَامُ هُنَا مَقَامُ اسْتِدْلَالٍ وَإِقْتِنَاعٍ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي اسْتِعْمَالَ أَدَوَاتِ التَّأْكِيدِ؛ لِتَثْبِيتِ الْمَعْنَى فِي النُّفُوسِ، لَا سِيَّما الْحَدِيثَ عَنْ قَضَايَا غَيْبِيَّةٍ مِثْلَ الْبَعْثِ.

وأيضاً: اسْتِعْمَالُ أُسْلُوبِي التَّوْكِيدِ: ﴿إِنَّ﴾، وَاللَّامُ؛ يَنْدَفِعُ بِهِ الشَّكُّ وَالتَّرَدُّدُ وَالْإِنْكَارُ الْحَاصِلُ فِي الْمَخَاطِبِينَ، فَيَجْعَلُ الْمَضْمُونَ قَطْعِيًّا لَا يَقْبَلُ الْجِدَالَ⁽¹⁾.

كَذَلِكَ: تَرْسِخُ الْحَقِيقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَتَثْبِيتُهَا بِتَوْكِيدِ قُدْرَةِ اللَّهِ الْمُطْلَقَةِ فِي الشُّهُودِ وَالْغَيْبَةِ؛ فَجَاءَ التَّوْكِيدُ فِي النَّظْمِ عَلَى أَنَّ مَا يُشَاهَدُونَهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى.

دلالة تعريف المسند إليه بالموصولية: ﴿الَّذِي أَحْيَاهَا﴾:

الله هو الغاية
للقصودة
بالعزفان
والبخ

تَعْرِيفُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِالْمَوْصُولِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ لَهُ دَلَالَتٌ؛ مِنْهَا، التَّعْظِيمُ وَالتَّفْخِيمُ؛ فَتَعْرِيفُ الْمُسْنَدِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 303/24.

إليه باسمِ الموصولِ بدلاً من الاسمِ الصَّريحِ (الله) يُبرزُ صفةً عظيمةً لله تعالى مُرتبطةً بالفعلِ المشهودِ: إحياءِ الأرضِ.

هذا (إجراءُ صفةِ الإحياءِ على الذاتِ) يُضفي على المُسندِ إليه جلالاً، ويجعلُ القارئَ يتأملُ في هذه الصِّفةِ قبلَ الانتقالِ إلى النتيجةِ الكبرى (إحياءِ الموتى).

إبرازُ العلاقةِ بين الفعلِ والفاعلِ: فتركيبُ الموصوليَّةِ ﴿الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ يركِّزُ على وصفِ الله بفعله المشهودِ، وهو إحياءُ الأرضِ، ممَّا يجعلُ السَّامعَ أو القارئَ يُقرُّ بقدرةِ الله عن طريقِ ربطِ الفعلِ بالمصدرِ الفاعلِ (الله تعالى).

الإقناعُ والاستدلالُ: إظهارِ الفاعلِ بصفتهِ المرتبطةِ بفعلِ مشهودٍ ﴿أَحْيَاهَا﴾ يجعلُ القضيةَ الإيمانيَّةَ (إحياءِ الموتى) أكثرَ إقناعاً؛ لأنَّ السَّامعَ يشهدُ إحياءَ الأرضِ، ويُقرُّ بأنَّ الفاعلَ هو الله، فيطمئنُّ قلبُهُ إلى أنَّ الفاعلَ قادرٌ على إحياءِ الموتى.

الربطُ بين المُقدِّماتِ والنتائجِ: تعريفُ المُسندِ إليه بالموصوليَّةِ مُشعِراً بتعليلِ الخبرِ (مُحيي الموتى)⁽¹⁾ ممَّا يجعلُ صلةَ الموصولِ ﴿أَحْيَاهَا﴾ مُقدِّمةً منطقيَّةً للخبرِ في قوله: ﴿لَمْحَى الْمَوْتَى﴾، فيخلقُ بذلك ترابطاً قوياً بين الدليلِ (إحياءِ الأرضِ) والنتيجةِ (إحياءِ الموتى).

التَّشويقُ والتَّنبيهُ: تقديمُ اسمِ الموصولِ يُثيرُ انتباهَ المخاطَبِ لاستشرافِ صلةِ الموصولِ (الفعلِ المرتبطِ به)، ممَّا يدفعه إلى التَّدبُّرِ في فعلِ الإحياءِ ودلالتهِ العظيمةِ على قدرةِ الله. التَّخصيصُ: فاسمِ الموصولِ يُخصِّصُ الذاتِ العليَّةَ بمضمونِ الصِّلةِ: (صفةِ الإحياءِ)، فيتميَّزُ بها أكملَ تميَّزٍ، تعييناً لهذه الصِّفةِ في سياقِ الحديثِ عن إحياءِ الأرضِ.

بلغة الاستعارة في: ﴿أَحْيَاهَا﴾:

في إيقاعِ الإحياءِ على الأرضِ في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ استعارةٌ مكنيَّةٌ تبعيَّةٌ؛ فالفعلُ (أحيا) يدلُّ في الأصلِ على الإحياءِ الحقيقيِّ (للذَّواتِ الحيَّةِ). فأثبتَ للأرضِ (وهي جماد) وصفاً من أوصافِ (الذَّاتِ الحيَّةِ) وهو (الإحياء)، فالمُشَبَّه: الأرضُ الجافَّةُ. والمُشَبَّهُ به: حيوانٌ (كائنٌ حيٌّ) ميَّتَ (محذوفٌ ذِكرُهُ). وقرينةُ الاستعارة: فعلُ ﴿أَحْيَاهَا﴾ الذي يوحي بأنَّ الأرضَ ميِّتةٌ ثم عادت للحياة. وسببُ كونها مكنيَّةً: حذفُ المُشَبَّهِ به

(1) ابن عاشور، التَّحْريْرُ والتَّنْويْرُ: 303/24.

المحسوسات
مفاتيح
الغيبات

(الكائن الحي) وترك لازمه وهو (الإحياء)، مما يجعل الاستعارة مكنية، حيث يظهر أحد لوازم المشبه به دون ذكره صراحة⁽¹⁾. وتتجلى بلاغة الاستعارة في إعطاء المشهد حيوية وانفعالا، بجعل الأرض الجافة تبدو ككائن حي يفقد الحياة ثم تعود إليه، الأمر الذي يدفع إلى التأمل في قدرة الله على إحياء الموتى، كما يحيي الأرض الميتة، فجمال الاستعارة مُتَعَدُّ إلى توثيق المقصود، وهو تقرير الحقيقة الغيبية بإحياء الله للموتى، فنزل الأرض منزلة هؤلاء الأموات في الإعادة بالاستعارة؛ ثم قاس إحياءهم بعد موتهم على صورة إنباض الأرض بحياة الإنبات بعد جديها وإمساكها.

أثر قياس التمثيل في البلاغة والإقناع:

من أحيا الأرض
بعد بوارها قادر
على إحياء الموتى

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ قياس عقلي مبني على التمثيل⁽²⁾، يقاس إحياء الموتى (الغائب) على إحياء الأرض (المشهود)، فكلاهما يدل على قدرة الله المطلقة؛ لأن من أمكن له إحياء الأرض بإثمارها بعد بوارها، فقدرته على إحياء البشر بعد موتهم ممكن كذلك. والمُشْتَرَكُ بينهما: نفس الفاعل (الله سبحانه) بصفته القادرة على الإحياء. وأركان قياس التمثيل في الآية: الأصل (المقيس عليه): إحياء الأرض. الفرع (المقيس): إحياء الموتى. العلة المشتركة: قدرة الله على الإحياء. وبلاغة القياس: في ربط ما هو محسوس ومشهود (إحياء الأرض) بما هو غيبي (إحياء الموتى)، مما يجعل الغيب أكثر قربا وإقناعا للعقل، فيستحث المخاطب بذلك على التفكير في قدرة الله الماثلة أمام عينيه في مناظر الكون، ليستخلص منها عقيدة الإيمان بالغيب (البعث) قياسا على دليل عقلي صريح. وهو تسلل بلاغي وانتقال سلس منطقي بين المحسوس والمعتول.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 303 / 24.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 303 / 24.

غرض مجيء خبر ﴿إِنَّ﴾ بصيغة اسم الفاعل:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتَى﴾ جاء التعبير بخبر ﴿إِنَّ﴾ على بناء اسم فاعل (محْيٍ) بدلاً من التعبير بالفعل بالفعليّة (مضارع أو ماضٍ)، ولهذا الغرض دلالات بلاغيّة معتبرة:

إحياء الله
للموتى يقين
جازم لا قاطع له
ولا معطل

منها: الدلالة على الثبوت والاستمرار:

فايثار اسم الفاعل ﴿لَمُحْيٍ﴾ بدلاً من الفعل (يحيي أو أحيا) يدل على ثبوت صفة الإحياء لله واستمرارها.

ومنها: الدلالة على التعظيم والتوكيد:

فاسمُ الفاعلِ أبلغ وأكد من الفعل في الدلالة على تعظيم الصفة والذات التي تعلقت بها، إذ التعبير بالاسمية دل على صفة ذاتية هي مصدرُ الفعل والحدوث، مما يُبرّر جلال قدرته - سبحانه - على الإحياء.

ومنها: الإيجاز والعموم:

فاسم الفاعل يدل على وسع الصفة واستغراقها؛ أي: إن الله قادر على إحياء كل ميت في أي وقت ومكان، سواء أكان من موتى البشر يوم القيامة، أو الأرض بعد موتها، وما في حكمها.

ومنها: التناسب مع لام التوكيد: فوجود لام التوكيد المرحلة إلى

الخبر ﴿لَمُحْيٍ﴾ ناسبه التعبير باسم الفاعل؛ لأن اسم الفاعل يحمل معنى الاستمرار والثبوت، مما يعزّز التوكيد على قدرة الله.

ومنها: ربط المشاهد بالغيب: فالتعبير باسم الفاعل يجعل النظم

أكثر اتصالاً بالحجة التي تعرضها الآية: فمن كان دائم القدرة على إحياء الأرض، فهو حتماً محيي الموتى.

دلالة التعريف في: ﴿الْمَوْتَى﴾:

تعريف ﴿الْمَوْتَى﴾ في قوله: ﴿لَمُحْيٍ الْمَوْتَى﴾؛ أفاد الاستغراق والعموم الحقيقي؛ أي: إن الله يحيي جميع الموتى من غير استثناء.

(ال) في (الموتى)
جنسية
للاستغراق
الحقيقي

فيشمل كلَّ مَنْ مات من الأحياء سابقًا، وكلَّ مَنْ سيموت لاحقًا، فيُحي الله كلَّ مَنْ دَخَلَ في حُكْمِ الموتِ. وإطلاق **﴿الْمَوْتَى﴾** على مَنْ سيموت - مَجَازٌ مُرْسَلٌ باعتبارِ المَالِ. والتَّعْرِيفُ في **﴿الْمَوْتَى﴾** يُضفي قوَّةً في تعيين تلك الفئة التي غشاها الموتُ، فيُلبسها الفعلُ الإلهيُّ بالإحياءِ، فتزول عنها صفةُ الموتِ بتأثيرِ ذلك الفعلِ، ممَّا يُعظِّمُ أفعالَ الله في النفوسِ.

موقعُ جملة: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

ليس في الوجود
شيءٌ إلَّا عن
القدرة قد صدرَ

جملة: **﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** تعليليَّةٌ؛ لتقريرِ دليلِ الإمكانِ في قوله: **﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾**؛ أي: ذلك الإحياءُ كما هو مُمكنٌ في الأرضِ بعد موتِها، فكَذلك مُمكنٌ في أمرِ الإعادةِ الآخرةِ يومَ القيامةِ؛ لأنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وليس على شيءٍ يقدرُ، وشيءٌ لا يقدرُ! بل الأشياءُ كلُّها متماثلةٌ في خضوعِها تحت قدرته⁽¹⁾.

المتشابهُ اللَّفْظِيُّ بين قوله: **﴿تَرَى الْأَرْضَ خَلْشَةً﴾**، وقوله: **﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾** [الحج: 5]:

عبوديَّةُ الإنسانِ
وخشوعُهُ
تمهيدٌ لحياته
الحقيقيَّةِ

عُبرَ في سورةِ الحجِّ بالهُمودِ في قوله: **﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾** [الحج: 5]، وفي هذه السُّورةِ بالخشوعِ في قوله: **﴿تَرَى الْأَرْضَ خَلْشَةً﴾**؛ لأنَّ السِّياقَ في سورةِ الحجِّ عن البعثِ، فعُبرَ بما هو أقربُ إلى الموتِ فقال: **﴿هَامِدَةً﴾** [الحج: 5]؛ أي: يابسةٌ مُطمئننةٌ ساكنةٌ سكُونِ المَيِّتِ ليس بها شيءٌ من نَبَتٍ⁽²⁾. فالهُمودُ قَرِيبٌ من الخُمودِ. فَهُمودُ الأرضِ: جفافُها وزوالُ نَبَتِها، وهُمودُ النَّارِ: خُمودُها⁽³⁾.

ولمَّا كان السِّياقُ هنا في الوحدانيَّةِ والعُبوديَّةِ؛ عُبِّرَ بما هو أقربُ إلى حالِ العابدِ، فقال: **﴿خَلْشَةً﴾**؛ أي: يابسةٌ لا نباتَ فيها؛ فهي

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 198.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 13 / 12.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17 / 203.

بصورة الدليل الذي لا منعة عنده؛ لأنه لا مانع من المشي فيها لكونها قاحلة لا كساء لها من الزرع والنبات، بخلاف ما إذا كانت مهتزة رابية متزخرفة تختال بالنبات⁽¹⁾. ويكأن التعبير هنا بالخاشعة فيه إيماء إلى أن عبودية الإنسان وخشوعه هو تمهيد لإحيائه، كما أن خشوع الأرض وذلتها مدعاة لإحيائها بالغيث والإنبات.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 196.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 52 ، 818 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 3-48-641-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 3-48-641-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"